النفوس الخالدة

للشيخ الفاضل صاحب التوقيع

متى ما استقرت النفس على المبدأ ولقيت الحفاوة من العام والخاص فقد اصبحت خالدة أي يرن صدى اسمها فى الاجيال المتعاقبة بمقدار ما اورثته من المجد والعظمة فى النفوس فالكثرة فى صلاح المبادى القومية ليست شرطاً اساسيا وانما المدار على حسن المبادئ لا قبحها .

***

المثل الأعلى فى الامم هو دماثة اخلاقها لا فطنتها فقد كانت الرومان ذات فطنة عظيمة وذات قوة ولكن لما فقدت اخلاقها تمكن انيبال القرطنجي ان يقتحم قمم جبال الالب المثلجة ويتسور مدن رومة . وهكذا العرب فقد كانوا على خطة البربر مع الفرس . فعلينا اذن ان ننظر الى المساوئ فنحسنها اكثر مما نجهد النفس على الذكاء والفطنة ، فاغلب اللصوص وقتلة الانفس ذوو ذكاء ولكنهم فاقدو الاخلاق .

***

الابناء ثمرة الآباء فهم على جبلتهم سائرون فى معترك هـذه الحياة فالانقلابات السياسية قد تتأثر فى نفسيتهم بعض التأثير ولكن لابد من ان يبقى شيء من خميرة الماضين فى طبعهم فيرجع بهم الى نعرة سلفهم السابق وعلى هذه النظرية الدقيقة رأينا حالة البرامكة فى عهد العباسيين فقد اندمجوا بالعروبة اندماجاً حقيقيا ولكن كانت النتيجة في ذلك الاندماج مضرة ضرراً فادحا في سياسة الملك والرابطة القومية .

***

اكثر الفلاسفة والادباء فى هذا العصر يقولون ان الامم توجد الزعماء وتظهر العبقريين . ولكني ارى غير هـذا الرأي واقول ان الفرد هو الذى يكيف الامـة وهو الذى يأخذ بها اما الى سبيل الصلاح كما حدث لايران وتركية ومصر والافغان على ايدى رجالها العظام كجلالة رضاخان ومصطفى كمال ومحمد علي وامان الله خان واما ان يأخذ بها الى سبيل الفساد كما وقع لايطاليا وروسية وفرانسـة على ايدى ماسوليني ونيقولا ونابليون الاول والثاني . بيد ان الفرد يتحسس بحاسية قومه ولكن تبقى نفسيته خاصة به لايشاركه بها احد منهم . والا لحكمنا على الامم التي تنهض بنهوض افرادها ان تحافظ على انظمتها الاصلية .

***

اذا آنست الامـة بزعمائها فقد اسلمت لهم القياد ومهدت لهم السبل وحتى مكنتهم ان يغيروا تقاليدها الموروثة من عهد بعيد ويقبلون ذلك التغير عن طيبة خاطر كما وقع الحال للامة التركية والاميركية واليابانية والمصرية والافرنسية بزعامة مصطفى كمال والميكادو ومحمد علي وسعد زغلول وميرابو وجماعته وواشنطون .

***

اذا سئمت الامـة من حالتها الاجتماعية عندئذ مهدت الامور للنبغاء وقادة الرأي فى ان يقوموا بوظيفتهم خير قيام . بحيث يكون ميلها الى قلب نظمها الموروثة فى غلو شديد بينما كانت تلك الانظمة ضاربة اطنابها فيها .

***

الظلم يضعف الفرد ولكن يولد في الامة قوة اكثر مما لم تكن مضطهدة .

***

اغلب الامم تكسب عادتها من غيرها فعلينا ان نكسب ما يوافقنا من حسنى العادات عند الامم .

***

الوحدة فى الامة ان يحصل فيها تفاضل بعضها على بعض وانما ينبغي عليها ان تتمتع الافراد بحقوقهم على حد سوى . والا فتكون تلك الوحدة نواة للتفرقة والشقاق .

***

الامم التي لا تشتغل فى السياسة وتنظر الى حالتها من حين الى آخر من تقدم وتأخر فاحكم عليها بالفناء .

***

التقية وجدت حيث وجد الاستبداد وهي بؤرة الذل والنفاق فاحسن الامم اخلاقاً ورقياً من عدمت عندهم التقية . وكلما وهن عظم الظلم وتقلص ظل الاستبداد اخذت التقية تختفي ويحل محلها الصراحة والامن في القول والعمل . كما حصل الحال عندما كانت الدولة الاموية فى ايام يزيد وابن زياد وهشام بن عبدالملك فكانت عند شيعة الهاشميين هى من اصول الدين حتى انهم اختلقوا لها الاحاديث فمنها « التقية ديني ودين آبائي » و « من لاتقية له لا دين له » ونجد عكس ذلك حينما استوسق الأمر لعمر بن عبد العزيز الأموي ، والمأمون العباسي، والمعز لدين الله الفاطمي . فكانت التقية في زمان هؤلاء منعدمة وكانت شعائرهم تقام على مرأى من الناس ومسمع وناهيك ما كان يكتب على جامع الازهر فى مصر فى ايام القائد جوهر من النيل والقذع ممن خالف شيعة الهاشميين . فاقبح الشعوب اخلاقاً من وجدت عندهم التقية وارقاهم ادباً من انعدمت فيهم حيث ان الحق والباطل يكونان

قص الشعر

— لصاحبة التوقيع —

لم يزل السيدات المحافظات عندنا يستنكرن عادة قص الشعر ويذهبن الى انها منتقلة من الافرنج فى ضمن ما انتقل الينا عنهم من الازياء وضروب التجمل . فهن — شأن المحافظين من الرجال — يعدونها منافية للاخلاق ، مغايرة للدين ، محطة من شأن اللاتي يقبلن عليها .

ولكن الأمر على عكس ما يزعمون ؛ اذ عادة « قص الشعر » قديمة وجدت بين العرب قبل الاسلام وبعده وكانت العرب تنعت المرأة مقصوصة الشعر ، على الطراز الغلامي الذى يعرف اليوم بـ (الاكارسون) ، مجمة ، وعكسها الملة .

وقد نشأت هذه العادة فيما نرى من « الحاجة » اذ المرأة العربية فى الجاهلية وفى صدر الاسلام لم تكن خاملة شأن المرأة العربية اليوم ولذا

متساويين فى المرتبة ولم يكن بينهما من مزية فارقة يقف عندها المرء فى حياته الاجتماعية .

***

أحسن ما في الانسان ان يتخذ لنفسه خطة العدل والانصاف من نفسه فان وجد هناك من هو مخالف له فى المبدأ فلابد بعدئذ من ان يستغفر عن ذنبه ويعرف سوء خطته ؟

جواد الدجيلي